

ضمير الغائب و ضمير المتكلم : روايات الامس و روايات اليوم

رسالة مقدمة الى مجلس كلية الاداب/ الجامعة المستنصرية كجزء من
متطلبات نيل شهادة الماجستير في الادب الفرنسي

من قبل الطالب
خسان فائق حمد

باشراف
الدكتور مهند يونس توفيق

٢٠٠٢

الخلاصة

الرواية .. ما هي ؟ كيف نقرأها ؟ ما هي عناصرها المكونة ؟ وما أشكالها السردية ؟ .
عموماً للرواية أشكال سردية متعددة ، هي ضمير الغائب وضمير المتكلم وضمير المخاطب لدى بعض الروائيين كميثيل بيطور ، وهناك شكل سردي رابع لم يتبناه سوى القليل من الروائيين ككافكا عندما استخدم الحرف ك بدل من الضمير السردى .

في بحثنا هذا سنتناول من جهة ضمير الغائب واسباب اختياره التي تدل على انه من الوسائل السردية البسيطة الاستخدام لما يتسم به من ليونة ووضوح عند استخدامه من قبل المؤلف واتسامه بالموضوعية وذلك بنقله لمجريات الأحداث دون تأثير ذاتية المؤلف عليه حتى لو تدخل في السرد بتعليقاته وشروحاته.

بالتأكيد ان عملية عرض وجهة النظر بواسطة ضمير الغائب تختلف عن نظيرتها عند استخدام ضمير المتكلم وذلك لان الثاني هو الذي يقوم بالسرد ويعرض وجهة نظره التي تتسم بالذاتية اما بالنسبة للاول فان الروائي او السارد هو الذي يعرض الشخصيات والأحداث دون الوقوع تحت تأثير الشخصيات ووجهات نظرهم أي انه ينقل مجريات الاحداث بموضوعية .
لضمير الغائب وسائل عديدة في تقديم الشخصيات باستخدام الرؤية من الخلف بواسطة السارد العليم او الرؤية من الخارج او الرؤية المصاحبة بان يرى المؤلف او السارد مع البطل الاحداث والشخصيات الاخرى للرواية .

بالاضافة الى ذلك سنتناول استخدام الضمير الغائب لدى كاتبين روائيين كبيرين للرواية الفرنسية في القرن التاسع عشر هما سنتدال و فلوبيير . كلا الروائيين استخدمتا تقنية الرؤية المصاحبة عند كتابة روايات ضمير الغائب وبراعتها في استخدام تقنية الوا قعية الذاتية بتزاوج ضمير الغائب مع الرؤية المصاحبة .

اما ضمير المتكلم فله ايضا مميزات تميزه عن ضمير الغائب بقدرته على التوغل في اعماق النفس وكشف خفاياها واسرارها ونقل ما يدور في داخلها نقلاً ذاتياً وقدرته كذلك على نقل مشاعر وانطباعات الشخصية بصورة واضحة بعيدة عن التزييق اذا اراد المؤلف اضافة شيء من المصادقية على سرده ولكن مع كل ذلك فان لهذا الضمير مساوئه التي منها انه في كثير من الاحيان غير موثوق به لذاتيته ولمحاولته في بعض الاحيان كتمان الحقيقة او تزويقها خوفاً من ان يعرف القارئ اسرار الشخصية المتكلمة ؛ واذا كان ضمير المتكلم يروي بصورة دقيقة كيفية وجوده الباطنية فان

سبب ذلك ليس عجز او انعدام نفاذ بصيرته فقط ، بل لانه يخشى ان يكشف كل شيء امام الغير مخافة التأثير فيه . ليس حب الذات و بغضها هو الذي يدفعنا الى معرفة انفسنا وبالتالي ، يؤدي بنا بصورة لا مناص منها ، الى تجميل صورتنا الشخصية او الى تشويهها ، او على الاقل الى تحاشي ذكر هذه السمات ؟ ان السرد بضمير المتكلم ، بحجة انارة الحاضر بواسطة الماضي ، يسحب الحياة المعيشة من النسيان ويحثنا على استعادتها بصورة احسن او بصورة مختلفة بواسطة سلطان الخيال، والذكريات تضيف او تقطع بعد انقضاء الامر وفوات الاوان وتؤكد حوادث تافه او تهمل حوادث مهمة ويقوم السارد بضمير المتكلم بتقريض نفسه ويظهر نفسه كما يريد ان يُرى لا كما هو . بالرغم من ذلك فانه ليس بوسع احد كتابة حياة انسان الا نفسه لان كيفية وجوده الباطنية وحياته الحقيقية لايعرفها احد سواه لان ما يؤبه له ليس الحقيقة الواقعية ولا دقة التفاصيل المتعلقة بسيرة الحياة بل ما يحسه البطل السارد وما يسميه روسو بالحقيقة الاخلاقية ، وهي الحقيقة التي لم تسجل في السجلات المدنية ولا في التواريخ وحتى في التصرفات الرصينة ، ولهذا فان معرفة الذات بواسطة الاستبطان وباستخدام ضمير المتكلم هي الحقيقة الوحيدة الصحيحة مهما كانت جزئية او قابلة للمناقشة .

ببساطة ضمير المتكلم يقلل الى درجة كبيرة الفرق بين ما هو مكتوب وما هو معاش . ان المستوى السردى للسارد بضمير المتكلم يختلف عن المستوى السردى للسارد بضمير الغائب . فضمير المتكلم يمكنه ان يكون ممثلاً وسارداً وشاهداً وحتى مؤلفاً وكافة المستويات السردية من الاعلى والوسط والادنى لكن السارد لضمير الغائب لايمكنه الا ان يكون اما ناقلاً بمستوى سردى اعلى او شاهداً ولكنه يبقى في نفس المستوى السردى الاعلى با اعتبار انه السارد الاول للقصة بعيداً عن كونه احدى شخصيات الرواية .

من الكتاب الذين برعوا باستخدام ضمير المتكلم الكاتب الفرنسي الشهير مارسيل بروست الذي ساهم في ظهور ضمير متكلم جديد غير ضمير المتكلم التقليدي المؤلف لدى روائىي القرن التاسع عشر . ان ضمير المتكلم في القرن العشرين كان واحداً من اشكال الرواية التي عانت من تحول مسخي في استخدامها . فاستخدامه قد اختلف عن استخدام ضمير المتكلم التقليدي واصبح يستخدم لاغراض اخرى منها الفلسفية والميتافيزيقية والعاثية والاجتماعية ولم يعد سوى شاهداً او ناقلاً لاحداث او تجارب معيشة بعيدة عن معرفة الذات والاستبطان وخصوصاً في روايات الوضع البشرى لدى سانت اوكسبري والوجودية لدى كامو الذي جسد الفلسفة العاثية وسارتر الذي كرس ضمير المتكلم لاستخدامات ميتافيزيقية .